Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تلقف ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) هذا الرأى لأبى هلال ، ونماه كثيرا وجعل من الفصل بين مصطلحى « الفصاحة » و « البلاغة » أساسا أقام عليه كتابه « سر الفصاحة » . ويبدو أنه اختار هذا الاسم قصدا إلى إبراز الفرق بينه وبين قرينه « البلاغة » الذى حجبه عن الذيوع والشهرة . إلا أن هناك شيئا من الاختلاف بين الرجلين ، فابن سنان لم يقصر البلاغة على المعانى كما ذهب أبو هلال ، وإنما ضم إليها الألفاظ أيضا ، وعلى ذلك فالفصاحة عنده مقصورة على الألفاظ ، أما البلاغة فهى وصف للألفاظ والمعانى معا ، فلا يقال فى كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها إنها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، كالذى يقع فى الإسهاب فى غير موضعه(١٥٠) . ومن خلال تحديد ابن سنان لمدلول كلا المصطلحين دلف إلى معالجة كثير من الأنواع البلاغية باعتبارها عناصر تندرج تحت مدلولى كل منهما بطريقة أو بأخرى . فهو يقسم الفصاحة ابتداء إلى فصاحة اللفظة المفردة وفصاحة التأليف أو الكلمات المنظومة بعضها مع بعض . ويتحقق النوع الأول وهو فصاحة المفرد بتوافر ثمانية أمور :

أولها : أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، لأن الحروف ما هى إلا أصوات ، والأصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، والألوان المتباينة كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة .

الثانى : أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسنا ومزية على غيرها وإن تساويا فى التأليف من الحروف المتباعدة كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسنا يُتصَور فى النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه ، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه ، ويتضح ذلك بالمقارنة بين كلمتى « غصن » و « عسلوج » فمع تأليف كل منهما من حروف متباعدة المخارج فإن أولاهما أحسن وقعا على السمع من الثانية .

---

(١٥٠) ابن سنان الخفاجى سر الفصاحة (شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدى ، مطبعة صبيح ١٣٨٩/١٩٦٩) ص ٥٠ .